



إلى متظاهر سوري

ثمة اجماع داخل المعارضة اللبنانية اليوم على انه سيكون من الخطأ مقارنة المسألة السورية مباشرة. الموقف حكيم ولا ريب، باعتبار انه يتوجب الامتناع عن تجفيل الحكم الاسدي القلق على ديمومته، بالاضافة الى الحرص المشروع على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لدولة شقيقة. غير ان هذا الحذر يصعب ايضاً على المعارضة القيام بواجب ملح في اتجاه جمهورها، وهو الدعوة الى التمييز بين الشعب السوري وسلطته، منعاً لبعض الهتافات السخيفة. فأى دعوة من هذا النوع لا تستقيم اذا بقيت في حدود الهم الانساني، على اهميته، ولا بد تحديداً من لفت انتباه المتظاهرين الى ان العمال السوريين في لبنان ضحايا مرتين: فهم ضحايا نظام فشل في تأمين فرص العمل لجميع السوريين ولم يقدم اليهم من الرعاية غير سطوة المخابرات التي تلحقهم احياناً الى اماكن عملهم في لبنان، وهم ايضاً ضحايا عنصرية كامنة تتغذى هي الاخرى من الصورة البائسة التي يعطيها النظام السوري نفسه عن رعاياه.

بيد ان المحذور السياسي، وان يكن في محله، قد ازاله هذا الاصرار للحكم البعثي ومواليه من اللبنانيين والسوريين على انتاج رواية رسمية لا تمت بصلة الى التاريخ، ولا الى السياسة. وجاءت خطبة الرئيس السوري الاخيرة، رغم طابعها المفكك المضضع، اسطع دليل على ارادة التحريف التي تقوم عليها دعابة المتبقي من البعثيين، ثم تبعتها الخطابات "المتلازمة" الصادرة عن المنتفعين من الوصاية السورية خلال تظاهرة "الوفاء" لتضخم التحريف.

لو كان الامر يتعلق فقط بكتابة التاريخ، لما كان من مشكلة ولأمكن ترك حسم حقيقة هذه الرواية لمؤرخي المستقبل. لكن التحريف الحاصل في الخطاب البعثي وتوابعه يهدد بالاساءة الى العلاقات بين سوريا ولبنان بعد الانسحاب. اذ ان تصوير اللبنانيين شعباً ناكراً للجميل، الصادر عن فاعل خير هو الحكم السوري، من شأنه وضعهم على تضاد مع السوريين ولا بد تالياً من محاولة لفت نظر المواطنين السوريين الى الوجه الآخر للعملة، وهو وجه اسود.

طبعاً، لا معنى من توجيه هذا الكلام الى المعارضة السورية التي كان لها موقف اعتراضى على السياسة السورية في لبنان منذ لحظة دخول جيش حافظ الاسد اليه برعاية اميركية متمثلة بحسن التدبير الكيسنجري، ولا الى المثقفين الاحرار في سوريا الذين يصعب عليهم تصديق اي رواية يخرج بها النظام. كذلك لا معنى من توجيهه الى هؤلاء اللبنانيين المتحدرين من اصل سوري والذين كان أبائهم واجدادهم ممن ساهموا في ازدهار بيروت الاقتصادي والثقافي قبل ان يلحقهم اليها حافظ الاسد لـ"يحميها" بالحديد والنار. ومن يتوجب التوجه اليهم هم أولئك الذين لا يملكون خطاباً سياسياً آخر غير خطاب السلطة المكروور، والذين يُقتادون الى تظاهرات "الوفاء" للسلطة، سواء في دمشق او في بيروت.

الى هؤلاء يجب القول، بكل محبة، ان خطاب سلطتهم هراء في هراء، وان الحكم السوري في لبنان لم يكن لا فاعل خير ولا حكماً حياً تدخّل بدافع المروءة من أجل التفريق بين المتحاربين واحلال السلام في ما بينهم. الى هؤلاء يجب القول ان القوات السورية في لبنان كانت طرفاً في الحرب: في البدء كطرف ضد الحركة الوطنية بقيادة كمال جنبلاط والمقاومة الفلسطينية، ثم بعد حين كطرف



ضد الاحزاب المسيحية. وفي الحاليين، لم تكن حرب ملائكة. فكل الاطراف لوّثوا ايديهم بالدم وكلهم دخلوا في مغامرات مدمرة، وهذا يشمل الطرف الرسمي السوري، بل لعله يشمل في المقام الاول لأنه طرف يمثل دولة، والدولة السورية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي لم توفّر وسيلة في حربها اللبنانية، اياً يكن خصمها، من القصف العشوائي للمدن، الى الاغتيال السياسي. فعلامٌ تُشكر السلطة السورية؟ على ذلك الاشرافية وزحلة بالنار؟ ام على معاملتها طرابلس كمدينة في الداخل السوري يتم الاقتصاص منها على مدار الايام؟

الى هؤلاء المتظاهرين السوريين يجب القول، بكل محبة، ان ممارسة الحكم السوري في لبنان لا تسمح له بأن يعطي دروساً الى احد في الوطنية والنضال ضد "الامبريالية"، فهو دخل لبنان بتدبير من هنري كيسينجر وعاد ومدّ سيطرته على اراضيه كاملة بضوء اخضر من خلفه جايمس بايكر، عربون وفاء لمشاركة الجيش العربي السوري في الحرب على العراق من اجل تحرير الكويت. واذا كان حافظ الاسد قد خاض معركة ضارية ضد الولايات المتحدة عادة الاجتياح الاسرائيلي، فهذه المواجهة التي بدأتها ادارة اميركية عقائدية في عهد رونالد ريغان لم تكن الا الاستثناء الذي يبرر القاعدة: عامان على الاكثر من اصل ثمانية وعشرين! فعلامٌ تهناً السلطة البعثية؟ أعلى بحثها الدؤوب عن تسوية مع "الامبريالية"؟

الى هؤلاء المتظاهرين السوريين يجب القول، بكل محبة، ان سوء تسليح الجيش السوري لم يخوّله لحظة الوقوف في وجه اسرائيل، بل منعه من ان يكون درعاً للبنان يوم بدأ الاجتياح الاسرائيلي، وان استبسال الجنود السوريين في عين دارة والبقاع جاء على خلفية سحبهم من الجبهة الامامية. الى هؤلاء الذين يصدقون الاساطير يجب القول ان بيروت اطلقت المقاومة من دون مساعدة من الخارج، بل ان المقاومين الذين نجحوا في اخراج العدو المحتل من بيروت وصيدا وصور والنبطية كوفئوا بالملاحقة واحياناً بالقتل على يد حلفاء الحكم البعثي، فإذا جاء موسم جديد يتيح استخدام المقاومة ورقة، وجدت السلطة السورية من يجير لها انتصاره. فعلامٌ تمجيد "سوريا الاسد"؟ أعلى فشلها في منع الاستباحة الاسرائيلية للبنان؟ ام على حرمان لبنان طعم الانتصار يوم كان الانتصار على العدو؟

الى هؤلاء المتظاهرين السوريين يجب القول، بكل محبة، ان السلام في لبنان جاء بتوافق اللبنانيين ودعم العرب، وان ما فعلته سوريا كان افقاد هذا السلام دعامتيه حين رفضت تطبيق اتفاق الطائف وحولت وجود قواتها العسكرية ومخابراتها اداة للهيمنة، فحرمتم اللبنانيين امكان استخلاص دروس الحرب وطوقت الديموقراطية التي وحدها كانت تصلح للمحاسبة عن المسؤوليات. فعلامٌ "تربيح الجميل"؟ أعلى انتاج طبقة سياسية مطواعة؟ ام على استخدام لبنان لتجديد النخبة الاقتصادية السورية؟ لا، لا شكر، اللهم الشكر على طي هذه الصفحة السوداء، عندما تطوى، والى غير رجعة.

سمير قصير



| | | |
|---------------------|---------------------|--|
| Id-Reference | 05-Pr-000554 | |
| Media | (Support) | HC |
| Title | | إلى متظاهر سوري |
| Subtitle | | |
| Section | | |
| Language | | عربي |
| Source | | النهار |
| Page | | |
| Date | | ٢٠٠٥/٣/١١ 11/3/2005 |
| Author | | سمير قصير |
| Co-Author | | |
| Keywords | | |
| | Persons | هنري كيسينجر - بشار أسد - حافظ أسد - كمال جنبلاط - جايمس بيكر - رونالد ريغان |
| | Locations | لبنان - سوريا - إسرائيل - اميركا - دمشق - اشرفية - زحلة - بيروت - طرابلس - عراق - كويت |
| | Dates | |
| | Themes | لبنان - سوريا - حكم بعثي - معارضة لبنانية - مخابرات سورية - قوات سورية - اتفاق طائف - وصاية سورية - حرب لبنانية - سوريا لبنان علاقات - بعد انسحاب سوري - بشار أسد - رعاية بعثية - مقاومة لبنانية - سوري - معارضة سورية - متظاهر سوري - اجتياح بيروت - حكم أسدي - عمال سوريون - سوريا نظام - حافظ أسد - جيش سوري |
| Subject | | |